﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾

[البروج: 19 - 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

الانتقالُ من أخبارِ السّابقين للاعتبارِ إلى واقعِ المعاصرين للارتداعِ

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة حديث الجنود وذكرت نموذجيْنِ منهما لِأهْل الكُفر والضَّلال من الأُمَم السّابقة، وأضْرَب في هذه الآية عن مماثلة هؤلاء الكفار الموجودين في عصره صلى الله عليه وآله وسلم إضرابًا انتقاليًّا لِمَنْ تَقدَّم ذِكْرهم، وبَيَّن أنَّهم أشَدّ منهم في الكفر والتَّكذيب، وأنَّ الله محيطٌ بهم كما أحاط بالسّابقين، بغرض التهديد وشديد الوعيد، فهو انتقالٌ من ذِكْر أخبار السّابقين للاعتبار إلى ذِكْر واقع المعاصرين للارتداع.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّحِيطُۢ﴾: أصلُ (حوط) يدُلُّ على الشَّيءِ يُطيفُ بالشَّيءِ[1]، ومحيطٌ: عالِمٌ بهم، وقادِرٌ عليهم، وهُم لا يُعجِزونَه ولا يَفوتونَه، والمقصود في الآية الإحاطة بالمُكذِّبين، فلا يُفلتُ منهم أحدٌ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإضرابُ عن الخبرِ السّابق للتَّحذيرِ ممّا هو قادمٌ

تُضرب الآيتان عن السابق ذِكْره من خبر فرعون وثمود إلى بيان أنَّ كُفّار العرب أشدُّ عَراقةً في الكُفر والتَّمرُّد والظُّلْم والتَّكذيب لآيات الله تعالى، مِمَّنْ تَقدَّم ذِكْرهم، فهم مُنغمسون في ذلك، ومُستقِرّون فيه، والله تعالى محيطٌ بهم إحاطةً تامَّة، ولا يخفى عليه منهم ومن أعمالهم شيء، ولن يُفلِتوا من عقابه بأيَّة حيلةٍ من الحيَل، فهم تحت قبضته وسُلطانه، وسيُنزِل بهم بأسه في الوقت الذي يريده[2].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حوط).
(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 348.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الإضرابِ ودلالتُهُ:

كُـفّـارُ الـعـربِ فـاقـوا أقرانهـم مـن السّـابـقين عنادًا وكُفْرًا

الإضراب في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ﴾ انتقاليٌّ[1] من بيان واقع الأمم السابقة إلى بيان أنَّ حال كُفّار العرب أعْجَب من حال فرعون وثمود، فهُم أشَدُّ منهم كُفْرًا وضَلالًا وعِنادًا؛ "لأنَّهم سَمِعوا قِصَّتهم، ورأوا آثار هلاكهم، وكذَّبوا أشَدَّ من تكذيبهم"[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

فـي المـوصـولِ تنويعٌ في المعنى بـين الـجـنْـسِ والعَهْدِ

المقصود بالموصول في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ﴾ إمّا الجِنْس؛ أيْ: جِنْس الكُفّار المُنْغمسين في التَّكذيب الذين لا يَنْتهون عن التَّكذيب إلّا بتوفيق الله تعالى، ومَن آمن منهم فهو في حُكْم المُسْتثنَى، وإمّا أن يكون المقصود العَهْد، وهُم الذين يموتون على الكُفر، فلا استثناء[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بحَرفِ الظَّرْفيّة:

مَن غَرِقَ في بحر المُـكـذِّبـين فـقـد اسـتـحـقّ الـذَّمّ المُبين

دلَّ التَّعبير بحرف الظَّرْفيّة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ﴾ على أنَّ كُفّار قريش مُستَمِرّون على التَّكذيب، مُنغمسون فيه انغماسَ المظروفِ في الظَّرفِ، فجُعل تَمكُّنُ التَّكذيب من نُفوسهم كتَمَكُّنِ الظَّرفِ بالمَظروفِ، أو البحر بالغريق[4]، وفي حرف ﴿فِي﴾ استعارة تبعيَّة[5]، أو في الجُمْلة مَجازٌ مُرسَلٌ عَلاقته الحاليَّة؛ "لأنَّ التَّكذيب معنى من المعاني، ولا يَحلُّ الإنسان فيه، وإنَّما يحلُّ في مكانه فاستعمال التَّكذيب في مكانه مجازٌ أُطْلِق فيه الحال، وأُريد المحلّ فعلاقته الحاليَّة"[6].

(1) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 194، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 141.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 301.
(3) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 194.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 252.
(5) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 344.
(6) درويش، إعراب القرآن وبَيانه: 19/ 436.

غرضُ تنكيرِ لفظِ ﴿تَكۡذِيبٍ﴾:

نُكِّر لفظ ﴿تَكۡذِيبٍ﴾ للدّلالة على التعظيم والتّهويل[1]، فتكذيبهم بالحقِّ النازل من الله تعالى، ليس كتكذيبهم بالحقِّ في غير الوحي، وليس كالتكذيب في شؤون الدنيا الزائفة.

عِلَّة حَذْفِ مُتعلّقِ التَّكذيبِ:

حُذِفَ مُتعلَّقُ فعل التَّكذيبِ؛ لظُهورِه من المقام؛ إذِ التَّقديرُ: أنَّهم في تَكذيبٍ بالنَّبيِّ ﷺ، وبالوحْيِ المُنزَّلِ إليه، وبالبَعثِ[2].

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ عاطفةٌ، والجملة عطفٌ على قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ﴾؛ أيْ: هم مُتمكِّنون من التَّكذيب، والله يُسلِّط عليهم عقابًا لا يُفلتون منه.

بيانُ علمِ الله بتكذيبِهم وإنكارِهم

دلالةُ التَّعبيرِ بلَفْظِ الجَلالةِ:

آثَرَ النَّظْمُ الكريم التعبيرَ بلفظِ الجلالة وإظهاره في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾؛ لتربية المَهابة، والتَّأكيد على قدرته تعالى وتعظيمه، وعلى عِلْمه بكُلّ شيءٍ.

دلالةُ التّعبيرِ بالظّرفيّةِ:

عُبِّر بالظَّرْف في قوله تعالى: ﴿مِن وَرَآئِهِم﴾؛ للتَّمهيدِ لقوله: ﴿مُّحِيطُۢ﴾، وللدلالة على إحاطة العذاب بهم؛ إذ (الوَراء) من الأضداد، والمُراد مُحيطٌ بهم من خَلْفهم، ومن أمامهم، وأُكِّدَت تلك الإحاطة الشّاملة بقوله: ﴿مُّحِيطُۢ﴾، والمُراد التّنبيه على أنَّ إحاطته سبحانه بهم شاملةٌ لهم من جميع نواحيهم، ومن كلِّ اتّجاهاتهم.

إحاطةُ علمِ الله تعالى شاملةٌ لا يُفلتُ منها أحدٌ

بلاغةُ مقابلةِ التكذيبِ بالتّهديد:

لمّا ذكر سبحانه أنّ الكافرين في تكذيبٍ، ووصفهم بالغرق في

تهديدُ الكافرين المُحيط مناسبٌ لتكذيبِهم الشّاملِ

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 344.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 252.

بحرِ التكذيب؛ ناسب أن يُقابل ذلك بإحاطة العذاب بهم جزاءً وِفاقًا، فقوله: ﴿مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ خَبَرٌ مُستعملٌ في الإنذار والوعيد والتَّهديد[1]، فلمّا كان كذبهم شاملًا؛ كان إنذارهم كذلك جزاءً وفاقًا.

بلاغةُ الاستعارةِ في مُفردَةِ ﴿مُّحِيطٌ﴾:

إحـاطـةُ الـلـه بالمُكذِّبين تمثيلٌ لانتظارِ العذابِ مع الغفلةِ عنه

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ تمثيلٌ لحالِ انتظار العذاب إيّاهم وهم في غفلة عنه بحال مَن أحاط به العدو من ورائه وهو لا يعلم، حتى إذا رام الفرار والإفلات؛ وجد العدو محيطًا به، وليس المُراد هنا إحاطة علمه تعالى بتكذيبهم؛ إذ ليس له كبير جدوى[2]، فهو استعارةٌ تمثيليّة لاقتداره سبحانه على الكَفَرة، وأنَّهم في قَبْضته وحَوْزته، كالمُحاط إذا أُحيط به من ورائه فسُدَّ عليه مَسْلكه، فلا يَجِد مَهْرَبًا، ولا يَستطيع تَفَلُّتًا، والمعنى: لا تَجْزَع من تكذيبهم إيّاك، فهُم في قبضتي وأنا قادر على إهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب، فليسوا يفوتونني إذا أردتُ الانتقام منهم[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 253.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 253.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 116.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"